

الفكاهة السياسيّة في أشعار أحمد فؤاد نجم دراسة وتحليل

تورج زيني وند*

جهانگیر أميري**، مريم يابوري***

الملخص

يُعدّ الشاعر السياسي أحمد فؤاد نجم من أبرز شعراء الفكاهة في مصر. اكتسب فكاهته ثوباً سياسياً واجتماعياً حيث وظّفها كبقوقٍ أعلن من خلاله عن مواقفه الصارمة والصلبة حيال الأنظمة العربية الفاشلة بنبرة صارخة حتى اشتهر في الأوساط الأدبية بشاعر السياسة. تمتاز فكاهة أحمد فؤاد نجم بالأدعة بميزتين أساسيتين: أولاً من حيث الدلالة أنّها تحمل في طياتها معاني ثورية تندّد بالأنظمة السياسيّة والاجتماعية في العالم العربي. ثانياً ومن حيث الصياغة فإنّها صيغت بلغة نارية ولهجة شديدة عارمة تنقضّ على الأنظمة التي خانت قضايا الشعوب العربيّة كالصاعقة. إنّ الموضوعات التي تناولتها سخرية أحمد فؤاد هي: نقد الأوضاع الاجتماعية والحكومات العربية وعمّالها ورجال الحكم والسياسة وذمّ التدخل الأجنبي في الشؤون العربية ونقد الظروف السياسية والاقتصادية المتردّية والحثّ على مقارعة الظلم ومكافحة الظالمين. يرمي هذا المقال إلى دراسة وتحليل الفكاهة السياسيّة للشاعر المصري أحمد فؤاد نجم بالاعتماد على منهج الوصفي - التحليلي

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة رازي (الكاتب المسؤول)، T_zinivand56@yahoo.com

** أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة رازي، gaamiri686@gmail.com

*** ماجستير في فرع اللغة العربية وآدابها، بجامعة رازي، maryamyavari20@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٥/٢/١٢، تاريخ القبول: ١٣٩٥/٤/١٣

مستخدمًا الأساليب العلمية ومناهج البحث المتّبعة في الموضوعات الأدبية. ومن أهمّ النتائج التي تفيدها هذه الدراسة هي أنّ أحمد فؤاد نجم وظّف الفكاهة لنقد الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تحكم الساحة المصرية وتستهدف تحسين ظروف حياة الشعب المصري ونيل الحقوق والحريات المدنية في ظلّ دولة ديمقراطية تحترم حقوق الأفراد والشعب ولذلك سمّي بشاعر السياسة والفكاهة المريّة.

الكلمات الرئيسية: الشعر السياسي، الفكاهة المريّة، الفكاهة المقلوبة، أحمد فؤاد نجم.

١. المقدمة

قسّم الأدباء الفكاهة بحسب المقاييس والمعايير التي تختلف باختلاف آراءهم و رؤاهم في الفكاهة. فإنّه قسّم من حيث الموضوع إلى ثلاثة أقسام (أميري، ١٣٩١: ٢٤) الاجتماعية والسياسية والترفيهية وقد نوّه بعض الأدباء في آثاره إلى الفكاهة المريّة أو السوءاء قاصداً بها الفكاهة التي ينقد فيها الشاعر القضايا السياسية والاجتماعية أو الشخصيات التي تحتكّ بواقع حياة الشعوب والجماهير. والسبب في تسمية هذا اللون من الفكاهة ربّما يكمن في احتوائه على دلالات ومعانٍ مضحكة وساخرة في ظاهرها ولاذعة وقاسية في باطنها. وينبغي الإشارة إلى أنّ ثمة فكاهة سمّيت بالمقلوبة نظراً إلى أنّها صُمّمت بحيث تدلّ في ظاهرها على غير ما تدلّ عليه في حقيقتها (الحوبي، ١٩٦٦: ٧٧). وجدنا لفكاهة أحمد فؤاد نجم نماذج متعدّدة ومنوّعة من الفكاهة المريّة والمقلوبة قمنا بدراستها وتحليلها خلال مقالنا هذا. والديناميكية التي تتمتع بها الفكاهة السياسية أعطتها قدرة هائلة لمواكبة الأحداث السياسية والاجتماعية وتطوير مسارها. ولذلك استخدم الشعراء العرب المعاصرون هذا الفن كتنقية شعريّة يستمدّون منها للإدلاء بأرائهم فيما يتعلق بالحياة السياسية والاجتماعية للشعوب العربية.

الفكاهة علاوةً عن الابتسامة التي تغرسها على شفاه السامعين تفتح أمامهم نافذة يطلّون منها على القضايا الهامة التي تجري على الساحة. من هذا المنطلق يجب القول إنّ الغاية التي يتوخّاها شاعر الفكاهة هي تنمية وعي الجماهير واستنهاض الهمم أمام الظلم والإطاحة بالأنظمة

الطاغية. وليس الضحك في السخرية سوى أداة ترفيهية تقلّص من حدّة النقد وتقلّل من لذعته فهو أشبه ما يكون بالشهد الذي يمزجه الطبيب بالدواء المرّ لكي يحدّ من مرارته في مذاق المريض. من الملفت للانتباه أنّ أحمد فؤاد خاطب في أشعاره الساحرة الأنظمة السائدة أكثر ممّا خاطب بها أبناء الشعب والسبب في ذلك ربما يعود إلى أنه توصل خلال تجربته السياسية إلى القناعة بأن الأنظمة الاستبدادية هي التي تُسبب تخلف البلاد ومعاناة شعوبها فبناء على ذلك لا بدّ لتحسين الأمور من استئصال شأفة الجبايرة والأنظمة الاستبدادية.

الفكاهة المريرة حسبما عرّفها البعض عبارة عن: الشعر الذي يعكس السلوكيات المنحرفة والأخلاق الذميمة والأخطاء الفادحة والمفاسد المتفشية في البلاد بأسلوب يعتمد على الكناية والسخرية (ضيف، ١٩٩١: ١٩١).

يرى قزيجة أنّ الغاية التي يجب أن يرسمها شاعر السخرية لنفسه هي السعي جاهدا لتقوية المثل وتعميق القيم ممّا يقود الفرد والمجتمع نحو المثل العليا ومدينة الأحلام كما يعتقد أنّ الهدف الذي ينشده شاعر الفكاهة ليس التنفيس أو الإضحاح بل إنّه في كثير من الأحيان يهدف إلى «تجسيد الظروف الاجتماعية والسياسية التي يعيشها الشاعر ومن ثمّ التحريض على تصحيح المسارات الخاطئة في الحكم والسياسات الظالمة في البلاد» (قزيجة، ١٤١٨: ٣٩٥). وفي السياق نفسه يجب القول إنّ السخرية هي محاولة أدبية للتعبير عن آلام المجتمع من الفقر والفاقة والمصائب التي يعاني منها أبناء الشعب بلغة يصحبها نقد مرير وعتاب شديد في أجواء مشحونة بالظرف والسخرية (أميري، ٢٠١٥: ٧٨). تبّه أحمد فؤاد في قصائده الفكاهية الشعب المصري إلى التحديات التي تهدّد البلاد من داخلها وخارجها ومن أهمّها: نشوب الحرب وتدخل الأجانب وتوغّل نفوذ الاستعمار فيها وتبعية رجال السياسة للغرب وتغلغل النفوذ الصهيوني في نفوس زعماء العرب وغيرها من العوامل والأسباب التي تركت بصماتها في أشعار أحمد فؤاد نجم وأعطتها صبغة سياسية واجتماعية.

من هذا المنطلق نريد من خلال هذا البحث المتواضع التوصل إلى الإجابة عن السؤال التالي بالإضافة إلى أنّ المؤلفين لهذا المقال طالعوا الأعمال الشعرية الكاملة لأحمد فؤاد لاختيار نماذج منوعة من فكاهته السياسية التي تتلائم مع سياق البحث.

ما هي أهمّ المضامين الفكاهية في أشعار أحمد فؤاد نجم؟

والفرضية التي يتمحور حولها هذا البحث والتي نحاول إثباتها عبر هذا المقال هي: أنّ الشاعر أحمد فؤاد استلهم مواضيع فكاهته من الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية الجارية على الساحة المصرية والغاية القصوى التي يتوخاها وراء الفكاهة السياسية هي تنوير العقول وتوعية الأفكار وإقناع الرأي العام المصري للنهوض بأعباء الثورة التي تؤدّي إلى الإطاحة بالأنظمة الدكتاتورية في مصر.

٢. خلفية البحث

مهما بحثنا في المصادر والمراجع لم نعثر على معلومات تفيدنا حول الفكاهة في أشعار أحمد فؤاد إلا نذر يسير لا يسمن ولا يغني من جوع. والمصدر الوحيد الذي عوّلتنا عليه لإعداد هذه الدراسة إنما هو ديوان الشاعر المشتمل على معظم أعماله الشعرية التي تفوح منها رائحة الصمود والمقاومة. والمصادر التي اعتمدها في هذا البحث تدور معظمها حول الفكاهة والأدب المقاوم بصورة عامّة من أهمّها:

الف) الكتب: الفكاهة في الأدب أصولها وأنواعها لأحمد محمد الحوفي، الفكاهة في الشعر التونسي لحماي التميمي، الفكاهة في الأدب الأندلسي لقريحة رياض، الفكاهة والسخرية في الشعر المصري لوئام أنس. يُذكر أنّ الكتب السابقة لم تتطرق إلى شاعرنا أحمد فؤاد حياته وشعره ولكنها أعطتنا معلومات هامّة حول الفكاهة وأنواعها ودورها في الحياة استقينا منها بما يروي غليلنا.

ب) الأطروحة: «جلوه‌های ادب و پایداری در شعر أحمد فؤاد نجم» (مهر ١٣٩٢) لمؤلّفها مريم ياوري جامعة رازي، ركّزت الباحثة في أطروحتها هذه على الأشعار التي تدخل في نطاق المقاومة دون أن تهتمّ بالجانب الفكاهي لأشعار الشاعر. إلا أنّها تعدّ ركيزة أساسية من ركائز مقالنا هذا.

ج) المقالات: «طنز تلخ در شعر پایداری فلسطین» لتورج زيني وند فصلنامه نقد ادب معاصر، صص ٧٧-٩٩، «شیوه‌های کاربرد طنز در تصاویر فکاهی أحمد مطر» ليحيى

معروف مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، صص ٥٤-٦٣، «طنز در شعر معاصر عرب» لإلهم باقريان بستان آباد (١٣٨٧)، فصلنامه ادبيات فارسي، صص ١٢٧-١٤٤. في الحقيقة أنّ المقالات التي ذكرناها توّاً تحمل في طياتها أبحاث مفيدة ممتعة فيما يتعلّق بالفكاهة في الأدب العربي لكنّها مع ذلك لا تمتّ إلى موضوعنا بصلّةٍ إلّا أنّنا ارتويينا من منهلها العذب مع شكرنا الجزيل للجهود التي بذلها مؤلّفوها مشكورين.

٣. لمحة من حياة أحمد فؤاد نجم

قبل أن ندخل في صميم الموضوع رأينا أنّه من المفيد أن نستعرض نبذة من حياة الشاعر علماً بأنّ حياة الشاعر السياسية والاجتماعية لها دور هامّ في تشكيل رؤاه الأدبية وأساليبه الفنية. ولذلك شعرنا أنّه من الضروري أن نذكر أهمّ المواقف السياسية والاجتماعية المؤثّرة على شعره. أضف إلى ذلك أنّه مازال شاعراً غير معروف في بلدنا إيران. كما ذكرنا أنّ أحمد فؤاد نجم من كبار شعراء المقاومة في مصر. انحدر أحمد فؤاد من أسرة مصرية عريقة لكنّه نشأ يتيماً حيث فقد أباه وهو في السادسة من عمره فتولّى رعايته خاله لكن سرعان ما تخلّى عن حضنته وسلّمه إلى دار الأيتام. حيث تعرّف هناك على عبدالحليم حافظ.^١ ترك نجم دار الأيتام لما بلغ السابعة عشرة عائداً إلى مسقط رأسه مصر. عمل راعياً للمواشي برهة ثمّ التحق بالجيش البريطاني. فأتيح له في الجيش أن يعمل في المطبعة ممّا شكّل منعطفاً هاماً في حياته. فإنّه تعلّم في ثكنة الجيش مهارة القراءة والكتابة التي حرم منها منذ طفولته. انشغل أحمد فؤاد بعد ذلك في مجالات عمل مختلفة. شهد من خلالها آلام الناس ومعاناتهم عن كثب وقد حملته روح العزة والأنفة على حماية الشعوب المضطهدة و دعمها دون أن يخاف ممّا يلقاه في سبيل ذلك من المتاعب والمضايق وقد أدّى به الأمر إلى أن زجّ به في السّجن بتهمة مفتعلة ثلاثة أعوام. عندما كان يقضي عامه الأخير في السجن شارك في مسابقة أدبية أقامتها إدارة السّجن بين السجناء فحاز أحمد فؤاد على جائزة المسابقة. فتح هذا الفوز في حياته أفقاً جديداً وشجّعته على أن يعمل ديوانه الأول ويقوم بنشره تحت عنوان «صور من الحياة والسّجن» وقد وضع سهير القلماوي على ديوانه مقدمة جلبت له صيتاً ذائعاً واشتهاراً واسعاً.

فلما خرج أحمد فؤاد نجم من السجن عام ١٩٦٢ أصبح صرخة عالية لشعبه في ميدان المقاومة وصارت أشعاره تتردد على الألسنة كأنشودة من أناشيد الثورة. في هذه الأثناء تعرّف الشاعر على الشيخ إمام عيسى و هو آنذاك من أبرز مغني الثورة المصرية الذي سُجن أكثر من مرة لأغنياته الثورية.

توطدت علاقة الصداقة بينهما حتى شكّلا ثنائياً ناجحاً فكان الشاعر يعطي الفنّان كلماته والفنّان يحوّلها إلى أغاني ثورية يلهب بها مشاعر الغضب والاستياء ضدّ الحكام. الشراكة التي نشأت بين أحمد فؤاد و إمام عيسى المغني أحدثت ثورة رهيبة في الغناء المصري و موسيقى المقاومة دوّت شهرتها في الأفق و جرت أغنيهما الثورية في الأفواه. ولكنّ الأنظمة المصرية حظرت بثّ ونشر أعمالهما الثورية في وسائل الإعلام الحكومية (<http://ar.wikipedia.org>).

إلا أنّ المضايقات الحكومية التي واجهها الشاعر لم تثن عزمه ولم تُبرد حماسه بل زادت قدراته و كثفت جهوده للمضيّ قدماً نحو أهدافه المنشودة.

انتقد أحمد فؤاد نجم الحكومة المصرية في أشعاره مراراً وتكراراً ممّا أدى إلى وقوعه في السجن. الانتقادات اللاذعة التي وجهها أحمد فؤاد إلى النظام المصري جعلت منه بطلاً شعبياً حتى أصبح صوت الطبقات الكادحة. ظلّ أحمد فؤاد منذ انخراطه في سلك الجيش في زمن عبدالناصر وحتى زمن حسني مبارك ناقداً للكيان المصري نقداً مريراً. وقد لقيت قصائده التي نُشرت على مواقع الإنترنت وقنوات التواصل الاجتماعي ترحيباً حارّاً من قبل جماهير الشعب. ممّا أوجع رغبة أطراف الشعب في أشعاره أنّها تهتمّ بقضايا سياسية واجتماعية واقتصادية وأنّها تسخر من كيان مبارك الدكتاتوري. وصف أحمد فؤاد الرئيس جمال عبدالناصر بأنّه الزعيم الأخير للشعب المصري وخادمه رغم أنّه أُعتقل وسُجن في عصره. وقد تحدّث الشاعر بهذا الصدد قائلاً: «كوفي سجيناً في عهد عبدالناصر لا يعني أنّه لم يكن قائداً شعبياً مادامت المشكلة لم تأت من ناحيته بل جاءت المشكلة من قبل الرهط الذي أحاطه فأحدث هوة عميقة بين الرئيس وشعبه» (نجم، ٢٠٠٨: ١٥).

حسبما أفاده وكالة فارس للأنباء (توانا) أنّ أحمد فؤاد، وصف حسني مبارك في إحدى خطاباته التاريّة برأس العصابة بدل أن يدعوه بالرئيس قائلاً: «إنّ ما قام به حسني مبارك منذ

انتفاضة الشعب لإنقاذ السلطه الحاكمة في مصر، لم تكن محاولة ناجحة إلا أنه تمكّن من إنقاذ الحكومة المصرية» (ياوري، ١٣٩٢: ٧٨). كما صرّح مهدداً ناهبي ثروات مصر بأنّ «الشعب المصري لن يقف عن ملاحقتهم حتّى لو هربوا خارج البلاد» (المصدر نفسه). ثمّ وصف تداول السلطه في مصر بأنّه لعبة صبيانية وتلاعبٌ بالعقول معلناً «أنّ الشعب المصري سيظلّ حيّاً على صفحه العالم وسيجعل الشعب الفلسطينيّ حيّاً مادامت السموات والأرض» (www.khabaryaab.com).

لقد استغلّ أحمد فؤاد نجم لغة الفكاهة كآلية تعبيرية في شعره ينتقد فيها الأوضاع الاجتماعية ورجال الحكم والسياسة بأدب ساخر يرمي فيه إلى إصلاح السياسات الفاسدة والاتّجاهات الخاطئة. مما يؤسف له بينما كنّا نسطّر هذه السطور أعلنت وسائل الإعلام العربية وفاة الشاعر أحمد فؤاد عن عمر يناهز ٨٤ عاماً. كان النبأ قصيراً ولكن كان وقعه ثقيلاً جداً إذ كان أحمد فؤاد رمزاً للنضال والكفاح ليس فقط في مصر بل في العالم العربي كلّه فإنّه شاعر الشعوب المقهورة وشعره شعر الحياة والطموح. كان يحلم بالمجتمع السعيد الذي يتمتّع بالحرية وحقّ التعبير والحياة الكريمة في ظلّ أنظمة حرّة ديمقراطية تحترم حقوق الشعب ومصالحه. والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

٤. الفكاهة ودورها في الحياة السياسية والاجتماعية

وجدنا لفكاهة أحمد فؤاد نماذج متعدّدة ومنوّعة من الفكاهة المريرة والمقلوبة ثمّ قمنا بدراستها وتحليلها خلال مقالنا هذا. إذا اعتبرنا لغة الشعر أداة صالحة لتجسيد معاناة المجتمع وآلامه ومأساته فيمكننا اعتبار لغة الفكاهة الشعرية أفضل آلية للتخفيف من أوجاع الشعب وتهدئة مشاعره المكبوتة. الفكاهة فضلاً عن الابتسامة التي تغرسها على شفاه السامعين تفتح أمامهم نافذة يطلّون منها على القضايا الهامة التي تجري على الساحة. من هذا المنطلق يجب أن نقول إنّ الغاية التي يصبو إليها شاعر الفكاهة هي استزادة وعي الجماهير واستنهاض الهمم أمام الظلم والإطاحة بالأنظمة الطاغية. وليس الضحك في السخرية سوى أداة ترفيهية تقلّص من حدّة النقد وتقلّل من لدغته فهو أشبه ما يكون بالشهد الذي يمزجه الطيب بالدواء المرّ لكي

يحدّد من مرارته في مذاق المريض. من الملفت للانتباه أنّ أحمد فؤاد خاطب في أشعاره الساخرة، الأنظمة السائدة أكثر ممّا خاطب بها أبناء الشعب والسبب في ذلك ربما يكمن في أنّه توصل خلال تجربته السياسية إلى القناعة بأنّ الأنظمة الاستبدادية هي التي تقف وراء تحلّف البلاد ومعاناة شعوبها فعلى ذلك لا بدّ لتحسين الأمور من القضاء على الأنظمة الفاسدة واستئصال شأفتها.

أفصح أحمد فؤاد في أشعاره عن التحديات التي تهدّد البلد من داخله وخارجه ومن أهمّها: نشوب الحرب وتدخل الأجانب وتوغّل نفوذ الاستعمار في داخل البلد وتبعية رجال السياسة للغرب وتغلغل النفوذ الصهيوني في نفوس زعماء العرب وغيرها من العوامل والأسباب التي تركت بصماتها في أشعار أحمد فؤاد نجم وأعطتها صبغة سياسية واجتماعية.

سبق أن قلنا إنّ ما دفع أحمد فؤاد إلى استخدام لغة السخرية هو التنويه إلى ما يجري في بلده مصر في زمنه. امتعض شاعرنا ممّا شهدته من آلام ومحن في مجتمعه لكنّه لم يقف موقف المتفرّج إزاء المآسي التي حلّت بالبلد، بل دخل معترك الصراع شاهراً سلاح الفكاهة المريرة رافعاً لواء الإصلاح للظروف الرهيبة التي خيّمّت على مصر.

أحسنّ شاعرنا بما أوتي من مواهب جليلة وعبقريّة متفتحة بالتحديات والمخاطر التي تحدقها لمجتمع البشري. فحمل هذا الشاعر الرسالي على عاتقه مهمة البناء والإصلاح ووجه نبال نقده صوب كلّ من تقع على كاهله مسؤولية عن معاناة المجتمع. ولم يكن سلاحه سوى الكلمة التي قد تكون أمضى وأنفذ من السيف. آخذاً بعين الاعتبار أنّ أول خطوة يقطعها الشاعر في مشواره الأدبي والتنويه إلى الحواجز والعراقيل التي اعترضت طريق النضال، فلذا أهوى شاعرنا بسياط فكاهته المريرة على الأنظمة المجرمة التي سلبت حرية الشعوب وحقوقها. إذ كما قال البعض «إنّ أعظم مصيبة هي التي تُضحك» (التميمي، د.ت: ٩٥).

٥. نظرة تحليلية لفكاهة أحمد فؤاد نجم

لم تكن السخرية لدى أحمد فؤاد وسيلة للتسلية أو المتعة، بل كانت عنده آلية تعبيرية موحية عبّر بها عن مواقفه السياسية والاجتماعية و يمكن اعتباره ناجحاً إلى حدّ كبير في نهجه

الأديبيحيث إنه تمكّن من إبداع فكاهة تتمتع بقدرة إيحائية هائلة. نستعرض فيما يلي أبرز المضامين الواردة في أشعار أحمد فؤاد الفكاهية بادئين بـ:

١.٥ نقد الأوضاع الاجتماعية

استحوذت على المجتمع المصري في عصر أحمد فؤاد نجم، حالة من الاستبداد والظلم فبينما كان يعاني في الداخل من الأزمات والصّراعات الحادة يخضع لنفوذ الأجنبي والقوى الكبرى من الخارج أيضاً مما ألقى بظلاله على المجتمع المصري بشكل واضح. تتسم فكاهة أحمد فؤاد نجم بالدّكاء والدّهاء وتحوم حولها حالة من الرمزية والغموض فإنّها تضحك المخاطب من جهة وتضعه في صورة ما يجري في المجتمع المصري من جهة أخرى.

خذ قصيدة «الغابة» للشاعر مثلاً فإنّه كما يبدو من عنوانها شبّه البيئة المصرية بالغابة التي ملأت الذئب والوحوش المفترسة أرجائها والقصيدة قالها الشاعر بلهجة مصرية:

هم هم هم / غابة كلاهما ذئب / راحت تمرّق الناس / راحتأكل الناس / كما تأكل الأنعام /
في لحظة بصر ... تلتهم / هم هم هم / الخرافالتي تغيب عن جحرها / أضحت القوت الدّسم /
تضريها الوحوش عن وراء ظهرها / وتقطعها إرباً إرباً / غابة تؤكل فيها اللحم / غابة تشرب
فيها الدماء (نجم، ٢٠٠٨: ٢٣).

من الملاحظ في المقطع السابق أنّ الشاعر نظر إلى المجتمع نظرة سلبية تشاؤمية، واصفاً إيّاه بالغابة التي تحوّلت كلاهما ذئباً شرسة تفترس بني نوعها وتستضري فيها الحيوانات القوية على الضعاف دون رحمة ولا إشفاق. الفكرة التي تحملها كلمات الشاعر في طياتها أنّها في المجتمع المصري تُضمّ الحقوق و تُسلب الأموال و تُقمع الحرّيات وتُعامل أبناء المجتمع وكأنّهم قطعان من البقر والغنم. والحيوان الذي تحدّث عنه الشاعر ليس حيواناً حقيقياً يملك الأنياب والمخالب بل هو إنسان بات يتصرف. كالذئب الذي يغتال فريسته على حين غفلة منها. والرسالة التي يوصلها الشاعر إلى المخاطب هي أن يتحلّى بالوعي واليقظة وأن يكون على بصيرة من أمره حتى لا يصبح وجبة دسمة للذئب التي تحمل صورة إنسانية. ولا يستبعد أن ترمز كلمة الذئب إلى الحكّام الظالمين الذين

يمثّلون الأنظمة السياسية في المجتمع المصري. ممّا يثير الانتباه في القصيدة أنّ الشاعر افتتحها بـ «هم هم هم» وهي كما تبدو أصوات تعيد إلى الأذهان الصوت الذي يُسمع أثناء التهام الذئب لفريسته في نهم وجشع. ممّا زاد من جمالية هذه المقدمة أنّها تتكيّف مع الفكرة الرئيسيّة التي تستوعبها القصيدة ألا وهي قسوة الحكومة على رعاياها. ومن أبرز الجُماليات الدلالية التي تحملها القصيدة هي أنّ تحوّل الكلاب إلى الذئاب ربّما يرمز إلى أنّ الأنظمة العربيّة التي يجب أن تدافع عن الشعوب، كما تواظب الكلاب على المواشي، باتت وكأها ذئاب شرسة تقطع فريستها إرباً إرباً. فطالما تتصرّف الحكومة كالذئب الجشع يجب على الشعب أن يكون على بصيرة من أمره حتّى لا يقع فريسة في براثنها المفترسة. أردف الشاعر قائلاً:

هم هم هم / غابة كلابها ذئاب / راحت تمزّق الناس / غابة تسودها وحوش / لا ناب لها ولا
مخلب / بل فم يتكلّم / وأسنان تضري / هم هم هم / ولسان يُغري / ظلّ أبناء الغابة /
ضائعين / وسط الذئاب / ثرثارين / راضين / مرتاحين / مشغولين / دون حراك / ولا اعتراض /
هم هم هم (المصدر نفسه: ٢٤).

مازال الشاعر يتحدّث عن الكلاب المستذئبة التي تعتدي على الناس. يتحدّث عن الغابة التي يعيش أهلها حياة البؤس والشقاء. وقد افتتح الشاعر القصيدة بالأصوات ذاتها التي تدلّ على صوت تناول الوحوش لوجبتها بنهم وجشع (هم هم هم) ومن الواضح أنّ هذه الأصوات يمكن اعتبارها جمالية موسيقية توّفر الأجواء للحديث حول الغابة. الغابة التي ليس لوحوشها أنياب مكشّرة ولا براثن ممزّقة إذ إنّها إنسان خِلقة ولكنّها باتت تتصرّف وكأها وحوش ضارية. ينتقد الشاعر بلغة ساخرة الشعب المصري البائس الذي لا يفعل شيئاً للتخلص من أوضاعه المأساوية سوى الاعتماد على الثرثرة وإلقاء محاضرات حماسية بلغة نارية. والغريب في الشعب المصري أنّهم يعدّ يشعرون بخطر الذئاب في وسطه. ولذلك وقف مكتوفة الأيدي لا يأبه بما. عذره في ذلك أنّه ليس لديه الوقت الكافي للتصدّي للذئاب! والسخرية تبلغ ذروتها عندما يبرّر الشاعر تخلي الشعب عن القيام في وجه الذئاب بأنّه لا يملك بما فيه الكفاية من الوقت لمكافحة الوحوش فأخذ الضّعف والاستكانة من نفسه كلّ مأخذ بدرجة أنّه تراجع عن مواجهة الذئاب بالتماسك والتضامن ورضّ الصفوف.

ومما يقوي هذه السخرية ويُبلغها ذروتها أنّ الشاعر أعقبها بلفظة «هاهاها» مكرّرة تخلق صوتاً أشبه ما يكون بصوت قهقهة الضحك فكأنّ الشاعر يضحك على شعبه الذي يتحدّث عن رفض الظلم والشجاعة بملء شديقه ولكنّه يرضى بحياة الدّل والخنوع في ظلّ الطواغيت الجبابرة.

٢.٥ نقد الظروف المعيشية

الظروف المعيشية الصعبة والأوضاع المأساوية التي سادت على العالم العربي أثناء القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين شغلت بال الشاعر واستأثرت بمواهبه الشعرية حتّى أصبحت الأحوال العصيبة التي مني بها المجتمع العربي الهاجس الأول لدى الشاعر حيث أخذ على عاتقه مواجهة المشاكل الاجتماعية بألية الشعر. «فأتاحت الظروف المستجدة المجال الواسع لدخول الأدب في معترك الحياة واحتكاك الشعر بالواقع المعاش» (الورقي، ١٩٨٤: ٢٣٢).

السياسات الاقتصادية المنفتحة التي مارستها حكومة سادات أثارت موجة عارمة من الاحتجاج والغضب الشعبي على الساحة المصرية. قام سادات لاحتواء الحراك الشعبي وامتصاص غضب الشارع بتوسيع مساحة الحريات السياسية التي منعتها الحكومات السابقة عبر السنين تدريجياً.

مشاريع سادات الاقتصادية أسفرت عن تزايد حالة التوتّر وتعميق الهوة بين الأغنياء والفقراء بحيث لم يعد الشعب المصري يستطيع الحصول على لقمة العيش فنظم أحمد فؤاد نجم قصيدة هزلية أدان من خلالها البرامج التي نقدتها دولة سادات:

عن موضوع الفول واللحم/ صرّح مصدر/ قال مسؤول/ إنّ الطّب تقدّم جدّا/ والدكتور محسن يقول/ إنّ الشعب المصري خصوصاً/ من مصلحته أكل الفول/ حيث الفول المصري عموماً/ يجعل من بني آدم غول/ ويزيد الأعمار/ والبروتين يرفع الكولوسترول/ ويجلب ضغط الدّم/ والدكتور محسن مسؤول/ وأما الفول فإنّه يعطي قوة/ ويسمن جدّاً/ ثمّ أضاف الدكتور محسن/ إنّ اللحم يحوي على السّموم/ ويكسب أوجاع المعدة/ ويقصر الأعمار/ والذين يأكلون اللحم عموماً/ يدخلون جهنّم أبداً/ يا دكتور محسن يا مراوغ/ يا مخادع/ يا مكار/ يا من تعتبر نفسك عقل العالم/ والعالم بحاجة لعقلك/ ما رأي جنابك/ أن نموت

نحن باللحم وتعيش أنت بالفول/ ما رأيك يا كابتن محسن/ لعمرك هذا جدّ كلام معقول
(نجم، ٢٠٠٨: ٤٥٣).

استخدم الشاعر الفول واللحم كمادة دسمة استمدّ منها لخلق قصيدته الساخرة مثلما نلاحظ في المقتطف السابق. حاول أحمد فؤاد عبر فكاهته إعطاء صورة واضحة صادقة عن معاناة الشعب المصري الذي بلغت مأساته حدّاً لا يستطيع أكل الفول واللحم في قوته اليومي. ومما يبعث على الضحك والسخرية في القصيدة أنّ الحكومة المصرية المتمثلة بالدكتور محسن تحثّ الشعب على أكل الفول وتجنّب اللحم في الوقت الذي لا يجد فيه الشعب لقمة الخبز التي يسدّ بها جوعه. يُذكر أنّ الفول كان يعدّ قوت الفقراء وذوي دخل محدود ولكن ارتفع سعره وبلغ حدّاً لا تستطيع شرائه الطبقات الفقيرة ومما يدعو إلى السخرية أنّ الحكومة المصرية تحضّ الشعب على أكل الفول وتفادي اللحوم بحجة أنّها تضرّ بالجسم وتسبب ضغط الدم وارتفاع نسبة الكولسترول في الجسم والعقم. تأتي توصية الحكومة بعدم تناول اللحوم في وقت لا يقدر فيه المصريون على تناول الفول فما باللحوم التي أصبحت حلماً يراود الفقراء. واختتم الشاعر فكاهته بنكتة ظريفة تعتبر ردّاً حاسماً وحجّة دامغة على الحكومة المصرية التي تجرح مشاعر المصريين وتسيئ إلى كرامتهم بطريقة أو أخرى. يخاطب شاعرنا الدكتور محسن الذي يمثّل الحكومة المصرية ويقول له بنبرة ساخرة أنت بإمكانك أن تأكل الفول وتعيش لكن نحن الشعب المصري نفضّل أن نتناول اللحم ونموت.

٣.٥ الطعن بالجنود وعمال الحكومة

لقد احتلّت القضايا السياسية والاجتماعية حيزاً كبيراً من فكاهة أحمد فؤاد المريرة. فسور الشاعر بعدسة شعره ما كان يلمسه في الحكومة المصرية من حماقات و هزائم وإخفاقات. يجب أن لا ننسى أنّ أشعار أحمد فؤاد الساخرة لم تنحصر فيما يتعلّق بأوضاع مصر المتوترة بل تتعدّها لتطال أيضاً الجوانب الأخرى من الحياة العربية فعلى سبيل المثال ولا الحصر يتحدث الشاعر أحمد فؤاد في إحدى قصائده عن حرب الأيام الستة التي هُزمت إثرها الدّول العربية هزيمة نكراء أفضت إلي غضب الأموال واحتلال الأراضي المصرية كما أشار فيها إلى فشل وعجز الجيش المصري في مقارعة الصهاينة إليك أبيات من القصيدة:

يا أهل مصر المحميّة/ بالحراميّة/ الفول كثير والطعام متوقّف/ والبّر متواجد/ و.../ ولم يمت
منّا بعد مليون/ أو كلّ الكون/ العمر أصلاً ليس مضموناً/ والأعمار بيد الله/ الحمد لله/ قد
نسينا الهزيمة في سيناء/ ضاع شعبنا كلّه في سيناء/ لكن يكفيننا إنّنا نحن الثّوار/ ولا حول ولا
قوّة/ دولة مصر عريقة في الكذب/ يكفيننا أنّ أسيادنا يعيشون سعداء/ طالما يملأ الشعب
معدته بالفول/ ويقول الأشعار/ يمجّد فيها الثّوار وحتّى الأشرار (المصدر نفسه: ٢١٩).

يعطينا النص الشعري السابق الذي نسجه أحمد فؤاد نجم على منوال التهكم المقلوب،
دلالات فكاهية طافحة تتناغم مع أجواء السخرية والازدراء بالقادة العرب الفاشلين في الحرب
ضد الكيان الغاصب. فكما نرى في الأبيات السابقة يشكر شاعرنا الله عزّ وجلّ على ما
أسبغه على الشعب المصري من نعم الانتصار والعيش الرغيد ووجود القادة الشجعان الذين
يحققون لهم العزّة و الكرامة ويوفّرون لهم الأمن والسّلام. ولا يخفي أنّ شاعرنا يقول ذلك على
سبيل التّهكم والاستهزاء إذ أنّ الحقيقة على أرض الواقع هي شيء آخر وهو عبارة عن
الإخفاق والهزيمة والنكسة والخذلان للشعب المصري. والسخرية تكمن في هذه الازدواجية
والمفارقة الجميلة التي تدغدغ الذوق الفكاهي لدى المخاطبين. بلغت الفكاهة ذروتها في
المقطع الشعري السابق حيث يمدح شاعرنا ربّه على أنّه رزق الشعب حكومة تحكم
بالأكاذيب والخدع مهتّباً أبناء شعبه أنّهم تحت حماية وحراسة الحراميين واللصوص وأنّ البلد
ماضٍ نحو الفخر والازدهار ويقصد بالحراميين طبعاً الطغمة الحاكمة التي نهبّت أموال الشعب
وسلبت خيرات البلاد ثمّ يشكر الله ولهجته ما زالت ساخرةً على أنّ عدد الذين ماتوا جرّاء
الحروب والأوبئة والقحط المميت لم يبلغ الملايين. معتبراً هلاك من راحوا ضحية الحرب والجوع
مشيئة الله الجارية وإرادته النافذة مؤكّداً أنّ الأعمار بيد الله وليس لفساد الحكومة وعجزها
وفشلها في الدفاع عن الرعية أمام المصائب دخلٌ في سقوط الموتى! ومن الواضح أنّ الفكاهة
في اللقطة الشعرية السابقة تدخل في سياق الفكاهة المقلوبة.

مما يشدّ الانتباه أنّ الشاعر في الأبيات السابقة يتحدّث وبلغة ساخرة عن الهزيمة التي حلّت
بالدول العربية في غضون الحرب مع الكيان الغاصب الصهيوني فالشاعر تطرّق إلى ضياع
الشعب المصري ومأساته مع الحكّام المنهمكين في الكذب والتّضليل. ومن المضحك أنّ
الشاعر يصف الشعوب العربيّة وعلى سبيل الفكاهة المقلوبة بأنّها قوم أحرار وأسيادهم جماعة

ثورية ثم يحمده الله على هذه النعم التي أولاها الله للعرب! وفي السياق ذاته ألقى أحمد فؤاد نجم اللوم على الأنظمة العربية وجنودها موجّهاً إليها سهام السخرية؛ إذ أنّهم سلّموا أراضيهم للأعداء بعد أن لاذوا بالفرار. لم يسلم الشعب العربي من عتاب الشاعر أيضاً طالما ظلّ مكتوفة الأيدي لا يحرك ساكناً وفي كلمات الشاعر تلميح لطيف إلى وجود هوة عميقة بين الطبقات الكادحة من الشعب ورجال الحكومة فبينما يسدّ الشعب جوعه بالفول يتنعم القادة المصريون بما تشتهيهِ الأنفس وتلدّ الأعين. نستنتج من القصيدة أن الشاعر يحمل الحكومة المصرية مسؤولية انهيار الشعب حالما ليست قادرة على القيام بالمهام العظام والأمر الجسام فإنّها أقصى ما تستطيع فعله رفع الشعارات المزخرفة والوعود المزيفة شأن سحابة جوفاء تقصف الأسماع برعدها وتخطف الأبصار ببريقها ولكن لا وجود للمطر.

وبالحرف الواحد كلّ ما يخططه حكام العرب خلف الكواليس لشعوبهم إنّما هو خداع وتضليل واحتيال في منظور أحمد فؤاد نجم.^٢

تبدو في النص الشعري السابق نظرة أحمد فؤاد نجم السلبية تجاه الرئيس المصري حسني مبارك واضحة جليّة. آخذاً بنظر الاعتبار أنّ للشاعر قصيدة سياسية نُشرت على معظم مواقع الإنترنت تحمل عنوان (كأنّك لست موجوداً) حيث تمجّو عبرها حسني مبارك وعمّاله بلغة ساخرة:

يارئيس نحن تعبانين/ يارئيس سئمنا اللصوص والحراميين/ صبرنا سنين/ تسيطر سيادتك الأكوان/ وشعبك وناسك يأكل السرطان/ وتختلس أمواله الفئران/ ورغيف خبزهم آخذ بالنقصان/ انهض يارئيس تفترس الذئاب/ ملأت الوهاد والهضاب/ ليس لشعبك طعام ولا شراب/ احذر العقاب في يوم الحساب/ وأبعد عنك يا رئيس الكلاب/ ما يملأ عينها غير التراب/ وليس لها ظوافر/ ولاناب/ واقفين لشعبك وراء كلّ باب (المصدر نفسه: ٣١١).

تسود القصيدة لهجة عنيفة مخزية حيث وصفت حسني مبارك بالرئيس المتعطّش للسلطة والمتهالك على القدرة له عمّال وؤلاة غارقون في نهب ثروات الشعب فلهم بطون ضخمة وكروش منتفخة يفترسون آحاد الشعب كالحیوانات الضارية ولكن من دون المخالب والأنياب. حوّلو حياة الشعب إلى كابوس مرّوع فالتّاس لا يجدون ماء يشربونه سوى مياه

ملوثة ومسمّمة وليس لهم طعام يأكلونه إلا السمّ الزعاف والسرطان والفكاهة المريعة التي نتبّعها في الشعر السابق أنّ رجال الحكم والعمّال سرقوا أموال الشعب ولم يُيقوا في مواعدهم حتّى رغبة من الخبز فبات الشعب مضطراً إلى أكل الأمراض والأسقام كالسرطان لإشباع بطونهم وإزالة جوعهم ولربّما أراد بذلك الشاعر أنّ الشعب لا يرون أمامهم مخرجاً ومهرباً من مآسيهم سوى الموت. ممّا نستشف في القصيدة أنّ الشاعر ينصح الرئيس مبارك بالاعتماد على الشعب ليمتّع بقدراته الفائقة في الدنيا وشفاعته في الآخرة كما يوصيه بعدم الركون إلى عمّاله الذين يصفهم بالخنثالة والأوباش الذين يتربصون بالتوّار خلف البيوت وكأهمّ كلاب مفترسة تمزّق فريستها إرباً إرباً ولا يُحمد جشعها سوى التراب. وأخذ الشاعر يحدّز الحكومة المصرية من مغبة الظلم الذي تمارسه في حقّ الشعب المصري ناصحاً إيّاها بالكفّ عن ظلم الشعب كما يوصيها بعدم الاعتماد على عمّالها الذين يخونونها مثلما خانوا الشعب واصفاً إيّاهم بالأوغاد والكلاب والرسالة التي تحويها اللقطة الشعرية السابقة هي أنّ الظروف المعيشية باتت في ظلّ الحكومة المصرية قاسيةً وتحوّل كلّ يوم من سيّء إلى أسوأ.

٤.٥ الطعن بالتدخل الأجنبي في شؤون البلد

تحمل أشعار أحمد فؤاد في تضاعيفها احتجاجات واسعة على الحضور الأجنبي مصطبغة بصبغة هزلية ساخرة كان أحمد فؤاد يعتقد أنّ أقدام الأجانب لم تطأ أرض البلدان العربية إلاّ من أجل سلب خيرات الشعب ولذلك عكف على نظم الأشعار التي تزخر بالتنكيت والتندير بالأجانب. ففي إحدى قصائده على سبيل المثال ولا الحصر صوّر عن نيكسون صورة إنسان وضع لا يستحق أن يرحّب به بينما قامت الحكومة المصرية بتكريمه و ترحيبه أجمل ترحيب:

شرقت يا نيكسون^٣ بابا/ يا حامي الووتر جيت/ عاملوك أجمل معاملة/ سلاطين الفول
والزيت/ فرشوا لك أوسع سكة/ من الجيزة حتّى القاهرة.../ جوايسيسك يوم تشريفك/
استقبلوك أجمل الاستقبال/ تحضر مراسيم استقبالك/ المومسات والقتلة والمجرمون
(المصدر نفسه: ٢١٤).

فكما نرى في القصيدة أنّ الشاعر خاطب نيكسون بلهجة هزلية يريد احتقاره والاستخفاف به فناده بـ (بابا) ليوحي إيحاءاً سيمائياً أنّ نيكسون يحاول العبث بالعقول وإثارة العواطف الدينية باستعمال الشعارات الدينية المزركشة فيتصرف وكأنّه حاخام يهودي أو قسّ مسيحي يردّد الأوراد ويتلو التراتيل حتى يغرّر بالأفكار الساذجة ويجعلها تنساق وراء سياسته المخادعة. وفي مناداته بحامي «الووتر جيت» دلالة ساخرة إلى علاقة الرئيس الأمريكي بقضية التحسّس الفاضحة لصورة الإدارة الأمريكية حيث شوّهت سمعتها وجعلت من أمريكا بلداً متورطاً في التنصت على العالم كلّه. ثمّ أشار إلى ترحيب النظام المصري به ترحيباً حارّاً حيث بسط تحت قدميه السجاد الأحمر في البلاد من أدناها إلى أقصاها ثمّ ربط زيارة نيكسون لمصر بقضية التحسّس معتبراً عمّال النظام المصري جواسيس يعملون لصالح نيكسون بداخل البلد. لقد شهّر شاعرنا بالنظام المصري وأيديه وألصق بجبينهم وصمة عار التحسّس لصالح الأجنبي فاضحاً النظام المصري لاستقباله نيكسون الذي يمثّل العدو الأكبر للقضايا العربية حيث أقام له حفلة تكريمية لم تحضرها إلاّ المومسات والخلعاء والمهزّجون. والدعابة التي نلمسها في سياق الأبيات هي أنّه لا يجمي ولا يوالي النظام المصري سوى طغمة من أصحاب اللهو والجون والجواسيس والعاشرات! ربّما ترمز هذه النقطة إلى أنّ الأنظمة العربية لا تمثّل جماهير الشعب ولا توالياها سوى المستهترين بالخمر وبنات الهوى. لأحمد فؤاد قصيدة أخرى ساخرة شجب فيها تبعية الحكومة للأجانب. لما انتهت ولاية الرئيس جانسون وأصبح نيكسون خلفاً له راحت الصحافة المصرية تحتفل بمجيء الرئيس الجديد وتحاول التشهير بالرئيس السابق والاستخفاف بشخصيته وتسميته بالحمار وعدم العقل وراعي البقر. بينما رحّبت الصحافة بولاية نيكسون وأشادت بعلوّ جاهه ورجاحة عقله:

أ ب ت ث جح / جونسون ° راح / نيكسون جاء / وافتنا صحافتنا / جونسون هذا الحمار /
عقله عقل الصغار / الذي يرمى الأبقار / ويعيش نيكسون لنا / على طول الأجيال /
نيكسون عال / ظاهره مثل الأبطال (المصدر نفسه: ٢١٠).

من أبرز الجماليات الشكلية التي نرصدها أحياناً في قصائد أحمد فؤاد أنّه يتسهّل قصيدته بالرموز التي تتناغم مع فحوى القصيدة. فكما نلاحظ في المقتطف السابق أنّ الشاعر افتتحه بـ «أ ب ت ث ج ح» من حروف التهجية وربّما هي ترمز إلى الصحف العربية التي صبّ

الشاعر كأس غضبه عليها إذ يمكن اعتبار هذه الحروف براعة استهلال رائعة وبديعة تشير إلى الحروف التي تستخدمها الصحف العربية للكتابة ولا يُستبعد أن يكون الشاعر قد استلهمها من الحروف المقطعة التي جاءت في طلائع بعض السور القرآنية للتحدي.

كان لإيران علاقات جيدة مع مصر أيام حكم سادات وفي فترة سبقتها بقليل إلا أن هذه العلاقات تعززت وبلغت أشدها في عهد سادات إلى درجة عبّر العاهل الإيراني عن سادات بأخيه الحبيب (شهبازي، ١٣٧١: ١٧٦).

مما زاد من علاقة مصر مع إيران فترة حكم سادات أنه رغم سلفه مال إلى الغرب ميلاً شديداً ولما كانت إيران أقرب حليف لأميركا فبطبيعة الحال أبدت مصر رغبتها لتعزيز علاقتها مع إيران أيضاً. توطدت العلاقة بين مصر و إيران بدءاً من السبعينات من القرن الماضي ومروراً بعهد حسني مبارك و انتهاء بالثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٥٧ (المصدر نفسه: ١٨٢).

صنع أحمد فؤاد فكاهة مقلوبة انتقد فيها علاقة الملك الإيراني مع زعماء مصر فيها هي:

المجد للشاه/ في الأعالي/ وللناس المدلّة/ وعلى الأرض/ الخراب/ حبييك و صاحبك/ و صاحب حبييك/ كلام كلّ فارغ/ عديم المعاني/ إذا التذلل صاحبك/ يصاحبك لعلّة/ و يُسمعك كلاماً/ ذي كذب الأغاني/ وأنا الذي اشتريت الخسيس/ بالخسارة/ وبعث الأصيل/ خلعني الخسيس/ من إصبعه ورماني (نجم، ٢٠٠٨: ٦٩).

نرى أنّ الشاعر بدأ تغريدته بمتاف «المجد للشاه» الذي ردده السادات وأنصاره عند استقبال الشاه الإيراني في القاهرة مع أنّ الدمار والخراب قد عمّ البلاد برمتها. يرى أحمد فؤاد أنّ الصداقة والأخوة بين الملوك والأمراء أمر مزيف لا حقيقة له طالما أنه ناجم عن الدوافع الشخصية والمصالح المادية وأنّ ما تتناقله أفواههم محض كذب وخداع.

طلب الشاعر في مستهل القصيدة المجد كلّه للملك الإيراني المقبور والدلّة كلّها للشعب بأسلوب فكاهي استفاه من الآية الكريمة (الحمد لله) ثمّ يتطلع إلى هدم الحكومة البهلوية الظلمة ولهجته مازالت ساخرة على سبيل الفكاهة المقلوبة فإنّ شاعرنا يريد الاستهزاء بالشاه الإيراني وجلالوته وكلّ من له علاقة الصداقة والتآخي من الملوك العرب ومن أبرزهم أنور السادات وحسني مبارك من أكبر حلفائه وأصدقائه. ثمّ لفت أحمد فؤاد انتباهنا إلى نقطة هامة هي أن

الملوك العرب الذين يتودّدون إلى الشاه الإيراني ليسوا صادقين ومخلصين في إبراز ودّهم له بل إنهم يطمعون في الوصول إلى مصالحهم التي يجدونها لدى الاقتراب إلى الملك والتواصل معه. ثمّ وصف أحمد فؤاد الملوك العرب ولاسيّما الرئيس المصري أنور سادات بالكذب واللؤم مشيراً إلى خطأ المصريين الفادح في التّقة به والتّعويل عليه معبّراً عن السادات بالخسيس والثّيم وعن بلد مصر بالأصيل ويريد بذلك أنّ الشعب المصري بما فيهم الشاعر خسروا بلدهم الحبيب لما بايعوا الرئيس سادات إذ أنّ الرئيس سرعان ما خذل البلد والشعب عندما تسلّم مقاليد الحكم فكأنّه عمروبن عاص الذي نزع خاتمه من إصبعه ليرمز بذلك إلى خلع الإمام على (ع) عن الخلافة.^٦ وفي هذا التلميح إشارة إلى المكر والغدر الذي مارسه سادات بحق الشعب المصري حيث شبّهه شاعرنا بعمروبن العاص الذي كان يمثّل معاوية في القضية التي سُميت في التاريخ بالحكمية وآل الأمر فيها إلى أن غلب عمروبن العاص على خصمه أبي موسى الأشعري الذي يمثّل الإمام علي (ع) بخداعه وتضليله ممّا أدّى إلى عزل الإمام (ع) عن الخلافة وتنصيب معاوية مكانه. والدلالة السيميائية التي تحتويها القصيدة هي أنّ القادة المصريين ليسوا زعماء الشرعيين وحقيقيين ماداموا فازوا بالحكم عن طريق الانقلاب العسكري أو التحايل على الدستور. من الجدير ذكره أنّ الشاعر استفاد من آلية بيانية خلقت أجواء مليئة بالتضامن والتكاتف وهي أنّه تحدّث بصيغة المتكلّم (اشترت وبعث وخلعني ورماني) كي يلمح إلى أنّه لا يعيش داخل جدران القصر المزخرفة بعيداً عن المواطنين بل يسير مع سائر الرّواد والطلّاع بحثاً ضمن الصفوف الأمامية وربّما أراد أحمد فؤاد أن يرسل بذلك الأسلوب رسالة أخرى إلى شعبه هي أنّ الشعب المصري بما فيه الشاعر هو المسؤول عن الأوضاع السيئة التي يمرّ بها البلد لالتزامه الصمت المطبق أمام حكم متعطرس.

٦. النتيجة

١. اختار أحمد فؤاد ما يتلمسه على الساحة العربية من الأحداث السياسية والاجتماعية مادّة لفكاهته ومنها: الظروف المعيشية السيئة وسوء الأحوال الاقتصادية الناتجة عن فساد الحكومات وعدم امتلاكها للكفاءات اللازمة وغياب الحريات المدنية وسوء معاملة السلطات

الحاكمة مع المواطنين والهزائم الفظيعة التي منيت بها الحكام العرب في غضون الحرب ضدّ الصهاينة والتدخل الأجنبي السافر في الشؤون العربية وتبعية الزعماء العرب للأجانب والتجسس لصالحهم والنفوذ الواسع للأمريكان في الشؤون المصرية من أمثال «جانسون» و«نيكسون» وتحالف الرئيس المصري مع الدكتاتور الإيراني، الشاه المعدم وما شابه ذلك من القضايا التي عاشتها وعاصرتها شاعرنا هي من أهمّ المضامين الواردة في قصائده الساخرة.

٢. يرى أحمد فؤاد أنّ مصائب العالم العربي بشكل عامّ ناجمة عن أسباب ثلاثة: أ) الأنظمة العربية الدكتاتورية لا تولي اهتماماً لمصالح شعوبها؛ ب) والفساد المستشري في هيكلية الأنظمة المتآكلة وخنوعها واستسلامها لسيادتها الأجانب؛ ج) الصمت الرهيب والسكوت الجنائزي الذي سيطر على الشعوب العربية وعدم وقوفها في وجه الحكام وعدم مطالبتها بحقوقها؛ د) توسع النفوذ الأجنبي في القضايا العربية وديبب الضعف والانحياز في الأنظمة العربية. ولقد تطرّق أحمد فؤاد إلى هذه القضايا وعبر عن آراءه ومواقفه تجاهها بلغة ساخرة ونقد لاذع.

الهوامش

١. هو المطرب والفنان والمغني المصري الشهير في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي توفيّ في عنفوان شبابه إثر إصابته بداءٍ عضال.
٢. لا يخلو هذا الرأي من بعض القسوة والإجحاف ربما يوجد بين حكام العرب من لا ينطبق عليه هذا الحكم.
٣. نيكسون: هو ريتشارد نيكسون (٩ ژانويه ١٩١٣، كاليفرنيا، ٢٣ أبريل ١٩٩٤، نيويورك) السياسي الشهير والرئيس للولايات المتحدة الأمريكية ١٩٦٩-١٩٧٤.
٤. الجيزة: ترمز إلى مصر القديمة حيث تقع فيها الأهرام الثلاثة كما تتمثل القاهرة مصر الجديدة.
٥. جانسون: هو أندرو جانسون الرئيس للولايات المتحدة الأمريكية أثناء ١٨٦٥-١٨٦٩.
٦. في هذا التشبيه إشارة لطيفة إلى قضية تاريخية وقعت أيام حكم الإمام على (ع) نزع فيها عمرو بن العاص أثناءها خاتمه من إصبغه ثم قال مقولته الشهيرة هي: إني خلعت الأمام علياً من الخلافة كما نزعتم هذا الخاتم من إصبغي.

المصادر

- آرين بور، يحيى (١٣٨٢ ش). *از صبا تا نيماء*، ج ٢، تهران: زوار.
- أميري، جهانگیر وآخرون (٢٠١٥ م). «التوظيف السياسي والاجتماعي للفكاهة في العصر المملوكي»، *مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)*، العدد ١٦.
- أنس، وئام (٢٠١٠ م). *الفكاهة والسخرية في الشعر المصري*، بيروت: مؤسسة الانتشار العربي.
- باقریان بستان آباد، الهام (١٣٨٧ ش). «طنز در شعر معاصر»، *فصلنامه ادبيات فارسی*، س ٤، ش ١٢.
- التميمي، حمادي (د.ت). *الفكاهة في الشعر التونسي*، تونس: دار بوسلافة للطباعة والنشر والتوزيع.
- الحوفى، أحمد محمد (١٩٦٦ م). *الفكاهة في الأدب وأصولها وأنواعها*، القاهرة: دار النهضة.
- ذوالقدر، ميمنت (١٣٧٣ ش). *واژه‌نامه هنر شاعری*، تهران: کتاب مهناز.
- زینی وند، تورج (١٣٩١ ش). «طنز تلخ در شعر پایدارى فلسطين، مطالعه مورد پژوهش: شعر راشد حسين»، *فصلنامه نقد ادب معاصر عربی*، دانشگاه یزد، س ٢، ش ٣.
- شهبازی، عبدالله (١٣٧١ ش). *ظهور و سقوط سلطنت مجلوی (به روایت تیمسار حسین فردوست)*، طهران: مؤسسه اطلاعات.
- شوقی، ضیف (١٩٩١ م). *الفكاهة في مصر*، القاهرة: دار الهلال.
- صادق زاده، محمود (١٣٨٩ ش). «بررسی گونه‌ها و شیوه‌های طنزپردازی حافظ»، *فصلنامه پژوهشی تحقیقات زبان و ادب فارسی دانشگاه آزاد اسلامی واحد بوشهر*، دوره جدید، ش ٢.
- قزینجه، ریاض (١٤١٨ ق). *الفكاهة في الأدب الأنلس*، بيروت: دارالمكتبة العصرية.
- معروف، يحيى (١٣٨٨ ش). «شیوه‌های کاربرد طنز در تصاویر فکاهی احمد مطر»، *مجله علمی پژوهشی انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی*، دانشگاه تربیت مدرس، ش ١٠.
- نجم، أحمد فؤاد (٢٠٠٨ م). *الأعمال الشعرية الكاملة*، بيروت: دار العودة.
- نعمتی، فاروق (١٣٩١ ش). «التحامق في الشعر المملوكي»، *مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها*، العدد ٢٢.
- الورقي، سعيد (١٩٨٤ م). *لغة الشعر العربي الحديث*، بيروت: دار النهضة العربية.
- یاوری، مریم (١٣٩٢ ش). «جلوه‌های ادب و پایداري در شعر أحمد فؤاد نجم»، *پایان‌نامه کارشناسی ارشد، دانشکده ادبیات و علوم انسانی، دانشگاه رازی*.